المحاضَرَة الثَّالثَة

التّعْرِيب وَوَحْدَةُ الأمَّة

سماحة الأستاذ الدّكتور
ابراهيم زيد الكيلاني
عَضو المَجْمَع وَوَزير الأوقاف
والمُقَدَسات
والشُؤون الإسلاميَّة

الأحد 13 ذو القعدة 1411هـ – 26 أيار 1991م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي العربي الهاشمي الذي آتاه الله جوامع الكلم وخاطب العرب بلغاتها ولهجاتها، ووحد طريقها وعرفها ربها، وهداها سبلها، فجعل من فرقتها وحدة، ومن فقرها غنى ومن ضعفها قوة، وبين لها أسس الوحدة: بالدين الذي يجمع، واللغة التي توحد والثقافة التي تؤلف.

وإذا كان حديثنا عن التعريب ووحدة الأمة في هذه المرحلة الخطيرة من مسيرة أمتنا ونحن نرى ما صنع المستعمر في بلاد العرب والمسلمين من تقطيع وتجزئة فإننا نجد في تاريخ الأمم ساعات عصيبة ومحناً وشدائد كان للعلماء في إنقاذ الأمة من شرورها وآثارها المدمرة جهد عظيم.

"لما غزا نابليون الألمان وجزأها ومزق وحدتها، قام رجال الفكر فيهم يبعثون اللغة ويحيون وحدتها معلنين أن الوطن مهما يتجزأ، فهو وطن اللغة الواحدة.

وإن أمما كثيرة مزقها الاستعمار فاعتصمت بوحدة اللغة واتخذت من ذلك سلاحاً ضد التفرقة ورمزاً للتحرير [١].

وقد واجهت الأمة العربية ولغتها في تاريخها الطويل المعاناة نفسها، فكان علماء العربية في مواجهة الحركات الشعوبية حين واجهوا غزو الباطنية وعقائدها، وكان علماء العربية في مواجهة التغريب حين واجهوا غزو المستعمر منذ مطلع هذا القرن ولقد كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي في الجزائر لجيشه الزاحف "علّموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"[٢].

أيها العلماء الأجلاء، أيها الإخوة الكرام

إذا أردنا أن نحدد معنى التعريب وأثره في وحدة الأمة، فلنتأمل في المعنى المقابل وهو التغريب وأثره في فرقة الأمة، لنجد الميادين التي يواجه فيها التعريبُ التغريب والعجمةَ في اللغة الأدبية والعلمية، وفي العامية ولهجاتها، وهو الميدان الذي يسعى أن ينفذ إليه ومنه الحاقدون على الأمة العربية والإسلامية المتربصون بها شراً قديماً وحديثاً، ليزيدوا الأمة العربية ضعفاً وانقساماً. ويجعلوا لغة العلم في الجامعات هي اللغة الأجنبية، ولغة التخاطب بين الناس هي اللغة العامية.

وقد لفت الأستاذ طه حسين الأنظار إلى هذا وقرع ناقوس الخطر وهو يقول: "أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العامية، إلى شيء خطير، ما أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير، هو أن العالم العربي الآن، وكثيراً من أهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل القوي بين أقطاره المتباعدة، فلتحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم، كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين".

ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟ أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهما أهل العراق، أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الأقطار التي تتألف منها، وأن يترجم بعض عن بعض؟ أما أنا فأوثر وحدة اللغة هذه فيه خليقة بأن يجاهد في سبيلها المؤمنون بها، وبأن يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون"[٣].

وإذا كانت اللغة عند الأمم وسيلة للتعبير عن الأغراض والأفكار فإنها بالنسبة إلينا نحن العرب دعامة وحدتنا، ومظهر رائع للوحدة التي أوجدها الإسلام بين العرب من الخليج إلى المحيط.

وإذا ذهب بعض الكاتبين إلى "أن الحد اللغوي للوطن العربي اليوم هو وحدة الحد الصحيح للوطن الذي تتطلع الآمال إليه، إنه الوطن الذي تحده شمالاً لغة الأتراك وتحده شرقاً لغة الفرس، ويمتد جنوباً في بلاد العرب حتى البحر، ويتسع غرباً في الشمال العربي الإفريقي حتى المحيط.

هذه الحدود الواسعة اليوم هي حدود اللغة العربية الواحدة، هي حدود وطننا الروحي الكبير بلا حدود ولا حواجز من الخليج إلى المحيط، وطن اللسان العربي المشترك"(٤).

ويعبر الأستاذ المازني في معرض رده على دعاة العامية والتغريب عن هذا المعنى "إن الإنسان لا يستطيع أن يفكر إلا بالألفاظ فهي وحدها أداة التفكير، فلا سبيل إليه بدونها، ومن المستحيل أن تتمثل معنى مجرداً عن ألفاظ معينة، ولكل لغة أساليبها وطرائقها، فأساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للأساليب التي يتألف على مقتضاها الكلام في اللغات المختلفة، ومن هنا يتفق ويتشابه أبناء كل لغة ويختلفون عن أبناء كل لغة أخرى وهذا فرق ما بين الإنجليزي والفرنسي، وما بين الإنجليزي والهندي(٥).

والثقافة الواحدة المشتركة التي أوجدها القرآن العظيم بين الأمة العربية والإسلامية والتي يمدها من نوره محافظاً على وجودها وهويتها على الرغم من العوادي والمعوقات وأسباب التقطيع والتمزيق، هي الحد الصحيح لوطن الإسلام والأساس المبارك لوحدة العقيدة.

ولهذا فإنني أدعو إلى الربط بين الوعي الحضاري للإسلام عقيدة وحضارة وثقافة ونظام حياة، والوعي اللغوي. كما أدعو إلى الربط بين الدراسات اللغوية في خدمة كتاب العربية المعجز القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين وجود الأمة ثقافة ولغة وحضارة. كما أدعو إلى إمعان النظر في التفريق بين مصطلحي، العرب، والأعراب، وأن العرب الذين لم يعوا الإسلام إيماناً وحضارة، هم أعراب يعيشون في جو القبيلة، لم يتخلصوا بعد من آثار الجاهلية، ولم يتسموا عطر الوحدة وكرامتها، وهم مدعوون للعلم النافع والعمل

الصالح والفهم العميق لأهداف الرسالة وتعاليمها التي جاد بها القرآن الكريم، وعاشتها هذه الأمة في تاريخها الطويل. ولا يقف أمام التغريب والعامية إلا أمران:

١ –سياسة وقانون يفرض اللغة العربية الفصيحة في المدارس والمعاهد والجامعات في الدول العربية والإسلامية، لتكون العربية الفصيحة لغة العلم والثقافة تمكن أبناء الأمة العربية والإسلامية من تحقيق التواصل الثقافي والعلمي والاجتماعي فيما بينهم. كما تمكنهم من الاتصال بكنوزهم الحضاريّة التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية، فتوحد بين الحاضر والماضي، وترسخ جذور انتمائهم لهويتهم الحضارية لغة وأدباً وثقافة وفكراً.

٢ –وسياسة وقانون يحارب الأمية وتعميم التعليم الإجباري ويمكن أجهزة الإعلام في الدول العربية من الارتفاع بالعامية إلى الفصحى الميسرة فيما تبثه بالإذاعة والتلفزيون من أشرطة مسجلة وأسطوانات. وفيما تنشره من أدبنا المسرحي الحي الذي يتكاثر مع الأيام غير متجانف عن تفصيح العامية ولا تيسير الفصحى"[٦].

أيها الإخوة،

إن وحدة اللغة العربية من المحيط إلى الخليج ليست مقتصرة على جانب الأدب والشعر والغناء. أو كما يقول الأستاذ مازن المبارك: "إن أم كلثوم ليست وحدها رمز هذه الوحدة" إنها أعمق وأوسع وأشمل.. إنها تتناول المفاهيم الأساسية في بناء الأسرة والمجتمع، إنها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وشروحها، وهي لغة الفقه والتشريع، المعبرة عن وحدة الأمة الاجتماعية في أحكام الأسرة وعاداتها وتقاليدها، وفي أنماط الحياة الاجتماعية وعاداتها في الأفراح والأتراح وفي العبادات والمعاملات المختلفة.

وإن أي خلل في فهمها والخروج عن أصولها وأساليبها سيفضي إلى انقسام خطير في الأمة نفسها يهدد وحدتها الفكرية والثقافية والحضارية، وهذا ما جعلني في هذه المحاضرة أنبه على أمرين:

١ –الأمر الأول – دور علماء العربية والتفسير والإعجاز القرآني في مقاومة العجمة والشعوبية والشعوبيين الذين قالوا إن للعربية ظاهراً وباطناً.. وحاولوا من خلال

الخروج عن أساليب العربية أن يعبثوا بدين الأمة ووحدتها، وأن يهدموا حصوننا من الداخل.

٢ –مسؤولية مؤسساتنا العلمية المعاصرة في مقاومة هذه العجمة من جديد، وهذه الحجب التي تحجب أبناء العرب والمسلمين في المدارس والمعاهد عن جوانب الأصالة في بناء شخصية الإنسان العربي.

ولهذا فإنني أدعو الجامعات العربية إلى هدفين عظيمين يتصلان برسالتها في بعض الوعي الحضاري:

١ –الهدف الأول: بعث الوعي اللغوي ورفع شعار النهضة اللغوية وتوفير أسبابها في التعليم باللغة العربية الفصيحة بالكليات الأدبية والعلمية. وفي إذكاء روح العربية بين أبنائها كتابة وخطابة وشعراً ونثراً.

٢ –الهدف الثاني: بعث الوعي الحضاري بالثقافة الإسلامية للربط بين اللغة والحضارة والفهم الشامل للإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وحضارة ونظام حياة. وإن مادة الثقافة الإسلامية مع مادة نظام الإسلام التي تبنتها الجامعات العربية في اجتماعات رؤسائها لتكون متطلباً جامعياً لكل أبناء العرب في جامعاتهم هي مظهر من مظاهر الوحدة وأساس من مكوناتها يحسن أن نحافظ عليها ونرعاها.

والأمر الآخر الذي أرغب في دق جرس الخطر للتنبيه عليه ولفت الأنظار إليه هو هذا الحجاب السميك بين تراثنا الفقهي والقانوني، وبين كثير من علماء القانون وأساتذته وطلابه في جامعاتنا العربية. فمجلة الأحكام الشرعية وشروحها ومصادر القانون المدني الأردني الفقهية لا يكاد يدرسها أو يرجع إليها رجال القانون وأساتذته في الجامعة الأردنية والجامعات العربية، للإفادة منها في دراساتهم وأبحاثهم القانونية.

ولا يغيب عن البال أن الغزو الاستعماري للبلاد العربية الإسلامية رافقه غزو ثقافي قانوني تربوي، كان تغيير القوانين وتغريبها سياسته الأولى التي عمل من خلالها على تغريب الأمة ثقافة وفكراً وقانوناً وأعرافاً.

ولقد قامت جامعة الدول العربية مشكورة في سبيل الوحدة القانونية التي لا ينكر أثرها العظيم في توحيد الأمة، بمقاومة أسباب الفرقة القانونية بين البلاد العربية، باعتماد أسس عربية إسلامية للتوحيد تلتقي عليها الدول العربية.

وكان التشريع العربي الإسلامي هو الأساس الذي اعتمدته جامعات العرب، وكان القانون المدني الأردني المستمد من الفقه الإسلامي بمذاهبه المتعددة هو الذي اعتمدته لجنة توحيد القوانين المدنية في البلاد العربية. ولقد أنجز هذا المشروع – بإذن الله – مضمومة إليه مصادره الفقهية والقانونية.

ويبقى السؤال الذي يصرخ بنا لِمَ لم تطبق الدول العربية هذا القانون المدني العربي الإسلامي الأصيل وتتخلص من القوانين الغربية الأجنبية لتحقيق التعريب والوحدة لغة وقانوناً. وقد طبقته مع الأردن السودان ودولة الإمارات العربية المتحدة وباكستان.

ولا ينكر أحد أثر القانون في توحيد الأمة وترسيخ جذور وحدتها الثقافية والاجتماعية في ميادين الأسرة وأحكامها والمعاملات المدنية والاقتصادية وغيرها.

أيها العلماء الأجلاء... أيها الإخوة الكرام

في كل بلد عربي اصطلى بنار المستعمر نجد مَعْلَمَيْن صارخين للمقاومة: دماء الشهداء وأقلام العلماء، في مواجهة الاحتلال للأرض، والثقافة، واللغة والحضارة في أرض فلسطين والأردن ولبنان وسورية، ومصر، والعراق. في الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا والسودان وغيرها من دول إفريقيا.

وعلى سبيل المثال التقى دعاة التغريب والعامية مع الذين احتلوا أرض لبنان، في خندق واحد سنة 1973م.

كما يلتقي هؤلاء وهؤلاء اليوم في السودان الشقيق، وتحمل حركة (جرنق) دعوة محاربة العربية في السودان، كما تحمل سياسة المستعمر في التجزئة والتقطيع.

وتعيش دول المغرب العربي حركة التعريب المباركة دفاعاً عن التراث وإيماناً بانتمائها لأمتها العربية وجذورها الحضارية لتواجه الفرنسة التي حاول المستعمر الفرنسي أن يقضي من خلالها على الوجود العربي والإسلامي، وهوية الأمة وانتمائها الحضاري.

وبعد هذه المقدمة المطولة أرجو أن أبين أن المقصود بالتعريب في هذه المحاضرة مقاومة العجمة والتغريب بالكلمة المفردة، والتعبير، والفكر، وتحرير لغة الخطاب بين الناس ولغة العلم، بين العلماء، في العلوم الإنسانية أو العلوم المادية من العجمة والتغريب في التعبير، والفكر، حتى تلتقي هذه الأمة على منهج عربي مبين في لغة الخطاب والحوار والتربية والتعليم، وفلسفة العلوم، لتجد الأجيال العربية الخصائص المميزة الموحدة لها لغة وقيماً، وتصوراً شاملاً للإيمان، والكون والإنسان والحياة، ولتجد الثقافة واحدة توجه سلوكها وتعاملها الحميد في ظلال الأسرة والمجتمع، وفي بناء الفرد والجماعة.

وليس هدفي من هذه المحاضرة أن آتي بالأدلة والبراهين المبينة لدور اللغة في وحدة الأمة فحسب، وإنما أن أقف عند تصور الوحدة باللغة من خلال هذا الإحساس الصادق بالوحدة الذي كان يملك قلب العربي في جاهليته وإسلامه.

ومن خلال هذه القيم الكريمة التي مكنت اللغة لها في بناء الشخصية العربية التي وجد الإسلام فيها تربته الخصبة فآتت أحسن الثمرات. وقد كان هذا الإحساس قوياً عميقاً في نفس العربي في جاهليته وإسلامه يقاوم به حجب لهجات اللغة التي تلبسها الكلمات فلا يفقه العربي كلام أخيه. وقد عبر العربي عن هذا الإحساس أحسن تعبير بسوق عكاظ الذي كانت تجتمع فيه قبائل العرب قبل الإسلام حول البيت ليجدوا وحدتهم المؤقتة في ظل الكعبة يتنسمون في ظلها الأمن والسلام، ويتبادلون التجارة، ويسمعون أجمل القصائد من أعظم الشعراء. وكانت مكة المكرمة مظهراً للوحدة حيث تلتقي في ظلها اللهجات العربية وتتآلف ويغني بعضها بعضاً، وكانت لغة قريش أفصح لغات العرب ولهجاتها، والمصفاة التي تنقى فيها اللغة من الحوشي والغريب، وتظفر بأفصح الكلمات واللهجات.

وكان الشعر يهيئ لأسباب الوحدة بهذه اللغة الجميلة الفصيحة التي تسري في قبائل العرب العاشقين للبلاغة، والتعبير الجميل، فيصوغ أذواقهم ولهجاتهم الأدبية وإحساسهم بالجمال، جمال القبيلة في وحدتها وترابطها، والاعتزاز بها أو جمال القيم التي يتفاخرون بها في إكرام الضيف، والوفاء بالعهد، والإحسان إلى الجار وتنفيسِ كربة المحزون، والجائع، والإصلاح بين الناس، وحملِ الديات عن العاجزين، وردِّ ظلم المعتدي، وقيمِ الشجاعة والكرامة، والغَيْرة على العشيرةِ، والعِرض ورفض الدنية والعار.

ويهمني في هذا المقام بيانُ أثر هذه اللغة ببلاغتها وجمالها وسحرها في توحيد الشخصية العربية قبل الإسلام، بما رسخته من قيم واحدة كان لها أثر عظيم في إقناع العرب بالإسلام ودخولهم في دين الله أفواجاً بعد أن زالت القوة الظالمة التي كانت تفتن الناس وتصدهم عن دين الله.

وهذا ما عبر عنه وفد بني شيبان حين عرض عليه النبي ε الإسلام والنصرة، فقالوا له: والله إنك لتدعو إلى مكارم الأخلاق، فإن شئت أن ننصرك من العرب نصرناك، ولكن بيننا وبين كسرى عهد ألا نُحْدِث حدثاً، ولا نؤويَ محدثاً، فقال لهم النبي الكريم ε ما أسأتم بالرَّد إذ أفصحتم بالصدق، لا يحمل هذا الدين إلا من أحاطه عن جميع جوانبه.

وكانت القيم الاجتماعية عند العرب متسلحة ببلاغة الأدباء والشعراء في مدحهم لمن أنصف بها، وهجائهم لمن فرط فيها لتضع جذوراً أعمق للوحدة بين العرب أفراداً وأسراً وقبائل إلى أن بعث الله فيهم نبيه العربي القرشي الهاشمي بلسان عربي مبين، وكتاب عربي معجز ببلاغته وبيانه، ونقلها هذه النقلة العظيمة إلى الوحدة حين نقلها من تعدد الآلهة إلى الإيمان بالله الواحد، ومن هموم الحياة الصغيرة، وأهدافها القبلية القائمة على المدح والهجاء والغزل والبكاء على الأطلال والتفاخر بالآباء إلى تصور جديد ومنهج جديد، رسم للإنسان طريق سعادته في الدنيا والآخرة، عقيدة وعبادة، وخلقاً وسلوكاً، ومنهج حياة، وطهر العقيدة من الشرك والوثنية، وخلص القيم العربية الكريمة من غلوها وتطرفها، ورسم لها منهجه الوسط، الذي يهدم أسباب الفرقة والنزاع والشقاق ويرسخ أسباب الوحدة والتآلف الروحي والاجتماعي لغة وثقافة وحضارة.

وحدة اللغة ووحدة الأمة

وإذا شعر العربي في ظل الجاهلية وانقسامها بحاجته إلى العربية التي توحده، فكان للمعلقات وتداولها بين القبائل العربية ورواة الشعر والشعراء، والأدباء والنقاد، وما يحظَونْ به من تقدير في القبائل العربية، والمحافل الأدبية، أثر في تصفية اللغة وتنقيتها، وإشاعة العربية الجميلة والمصفاة بين القبائل العربية.

وكان نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وآياته البينات المعجزات، التي تحدى بها العرب تحدياً ليدركوا إعجازه، ويتذوقوا بلاغته، ويتساموا إلى آفاق هدايته، وكان من أسباب وحدة هذه الأمة التي ارتبطت فيها العقيدة والمنهج والسلوك باللغة ارتباطاً وثيقاً وكان الوعي اللغوي والأدبي عند أبناء الأمة من أسباب وحدة مشاربهم وأذواقهم وتصوراتهم للحياة وتجاوبهم مع الدين وقيمه وأخلاقه وأهدافه، وكان فقه العربية وإدراك جمالها في مفرداتها وتركيبها وأساليبها أمراً تفرضه العقيدة الإسلامية، كما يفرضه الانتماء إلى هذه الأمة حضارة وولاءً.

وما كانت العناية بالعربية نحواً وصرفاً وبيان مفرداتها وتراكيبها يتقدم على العناية بالعربية في بلاغتها وجمال أساليبها، وكان حرص المؤسسات العلمية على تدريس كتب الأدب وشرح النصوص الأدبية منسجماً مع تعليم العربية قراءة وكتابة حتى لا تكون العربية كلمات ومفردات أقرب إلى العجمة، وبعيدة عن التعبير الجميل المتصل بجذوره الحضارية، ولتكون وحدة الأمة الحضارية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً شجرة مباركة للغة العربية الفصحى وما تحمله من كنوز أدبية وفكرية، وتحت هذا العنوان نعرف سر اهتمام علماء اللغة العربية والإسلامية في تاريخها الطويل برواية كتب الأدباء وخطبهم وتصنيف المؤلفات التي تجمع التعابير الجميلة في فنون الحياة المختلفة من المغرب إلى المشرق.

فـ (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، و (الكامل) للمبرد، و (البصائر والذخائر) لأبي حيان و (زهرة الآداب) للحصري، و (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني وغيرها من كتب الأدب والتراجم وشروح دواوين الشعراء والآثار الأدبية كان لها أثرها العظيم في وحدة الأمة لغة وثقافة وتاريخاً وذوقاً جميلاً يوحد بين العرب

في المشرق والمغرب كما توحد بين العرب في أقطارهم حتى ينتقل الشاعر من بغداد إلى الأندلس أو من الأندلس إلى المشرق يحمل أجمل قصائده ليجد عند أمرائها وعلمائها الحظوة والرعاية.

وليس المجال متسعاً للاستشهاد، ولكن أقف عند أبي العلاء المعري وتعليقه على أبيات من الشعر حملها معه أحد شعراء الأندلس:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
هبطنا دوحة فحنا علينا حنو المرضعات على اليتيم

(فقال له أبو العلاء، قل: حنو المرضعات على الفطيم فأبدلها بها)

وأسقانا على ظمأ زلالاً أرق من المدامة للنديم
يصلو الشمس أنّى واجهتنا فيحجُبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمسُ جانب العقد النظيم

فيقول أبو العلاء: أنت أشعر من في الشام. ثم يلقاه بعد سنوات في بغداد، فيسمعه قصيدة أخرى لا تقل عن سابقتها رقة وعذوبة، فيقول له: ومن في (بغداد)، عاطفاً بين الجملة السابقة واللاحقة ليوحد بين اللقاءين والزمنين في ساعة واحدة.

أيها العلماء الأجلاء:

لقد كانت المؤسسات العلمية تشعر بمسؤوليتها الإيمانية والتاريخية لترسيخ وحدة الأمة بتعلم العربية وتعليمها نصاً وروحاً وأدباً وذوقاً، ولذلك كان حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمعلقاتِ وأشعارِ بشار وأبي تمام والمتنبي وغيرهم من كبار الشعراء من محفوظات أبناء الأمة على تباعد ديارهم وأقطارهم كما كانت شروحها والاتصال عن طريقها بالعربية نصاً وجمالاً وذوقاً. وكان علماء التفسير، وعلماء الحديث، وعلماء اللغة، وعلماء الفقه وغيرهم يرحلون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق يعمقون هذا الود.

وكانت مادة (المطالعة العربية)، راسخة الجذور في مناهج الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية، في جامعة الأزهر الشريف والزيتونة وفاس، تحقيقاً لهذا

الهدف. كما كان هدف مؤسسات التعليم الإسلامية في بقية البلاد العربية والإسلامية مقاومة الانحراف والفرقة. وفي وقت مبكر من عمر الدعوة الإسلامية شعر العلماء والقادة المجاهدون بخطر الاختلاف في تعدد اللهجات والقراءات للقرآن الكريم حين التقى جند الشام وجند العراق والحجاز في فتوح بلاد ما وراء النهر كلٌّ يقرأ بقراءة أحد الصحابة القراء، فهذا يقرأ بقراءة أبي بن كعب في الشام وهذا يقرأ بقراءة عبدالله بن مسعود في العراق، فاختلفوا وتعالت أصواتهم، فأسرع حذيفة بن اليمان إلى عثمان بن عفان يحذره من الاختلاف في قراءة القرآن الكريم الذي سيؤدي إلى اختلاف الأمة وتمزقها بعد أن وحدها الله بالإسلام وكتابه. فما كان من عثمان – رضي الله عنه– إلا أن سارع إلى تدارك هذا الخطر بالأمر بتشكيل لجنة من الحفاظ الأثبات على رأسها زيد بن ثابت الذي كتب المصحف في عهد أبي بكر الصديق، ليعيد كتابة ست نسخ من المصحف على لهجة قريش ولغتها ويوزعها على الأمصار الإسلامية في المدينة والشام، والبصرة، والكوفة، ودمشق لتكون مرجع الأمة التي تتوحد عليها لغة وكتابةً ولهجة وحرفاً.

وكما قاومت الأمة الاختلاف في القراءات واللهجات قاومت الانحراف بالكلمة ونطقها واستخرجت علم النطق والتلاوة للكلمة العربية خدمة للقرآن الكريم، كما استخرجت علم النحو والصرف والإعراب صيانة للسان من الانحراف بالتعبير العربي السليم. كما قاومت الانحراف في فهم الكلمة بضبط لفظها ونطقها، وتحرير معناها، وألفت المعاجم المتعددة لهذا الغرض. كما قاومت الانحراف في فهم أساليب العربية بوصفها أصولاً للتفسير يلتزم بها المفسر للنص بالعربية، نصاً وأسلوباً. وسدت الطريق أما الشعوبية ورجالها الذين حاولوا أن يفسدوا العربية من الداخل بعد أن عجزوا عن طمس لغتها ومفرداتها.

أيها العلماء الأجلاء:

ونظراً لهذا الارتباط الوثيق بين دين الأمة ووجودها الحضاري ولغتها سجل تاريخ الحضارة العربية الإسلامية أن أئمة اللغة العربية وبلاغتها وبيانها هم أئمة علوم القراءة والإعجاز والتفسير لكتاب الله تعالى. وهم الذين وضحوا القواعد والأسس لعلوم القراءات والإعجاز والبيان والتفسير التي اتصلت بميراث النبوة والصحابة رضوان الله عليهم، ثم اقتفتها الأجيال من بعدهم في البلاد العربية والإسلامية، فكانت كتب هؤلاء الأعلام

مراجع العلم في الجامعات والمدارس المعاهد وحلقات العلم في المساجد تبني شخصية الأمة الحضارية وتوحّدُها لتلتقي شخصية العالم والمتعلم على ثقافة الإسلام في ظل وحدة العقيدة والكتاب والسنة وأصول الاجتهاد.

فعلماء القراءات، كالكسائي، وابن عامر، وعاصم، هم من أئمة اللغة، وأئمة العربية، وبلاغتها، هم أئمة علوم الإعجاز والتفسير وأذكر على سبيل المثال عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة 471هـ الذي تمرس بكتب أبي علي الفارسي وتخرج على طريقته في النحو، فألف شرحين على كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي، وألف كتاب (العوامل المئة)، في النحو ثم التفت إلى ما وراء النحو، من أسرار العربية المتجلية في تأليف الجمل على اعتبارات خصوصية تتفاوت في الحسن والقبول بحسب ما تزيد أو تنقص من الوفاء بمتممات المعاني، بعد اشتراكها في الوفاء بأصولها وذلك ما كان الأدباء مستغرقين في التنويه به واستقصاء أمثلته من لدن عبدالله بن المقفع إلى بشر بن المعتمر إلى سهل بن محمد السجستاني، ثم إلى الجاحظ وابن المعتز، واتصلت بهذا الفن نظرية إعجاز القرآن، فجعلها الجاحظ في الإيجاز، وجعلها الواسطي في النظم وجعلها الرماني في البديع، إلى أن جاء أبو بكر الباقلاني، الذي ربط بين فن البلاغة ونظرية الإعجاز، ثم جاء عبدالقاهر الجرجاني، وأخرج كتابه (دلائل الإعجاز) الذي بين فيه جهات الحسن البلاغي وعلله وضبطها في قوالب محكمة من التعبير، فجاء عمله عملاً أساسياً منهجياً كشف فيه عن معنى الإعجاز البلاغي، انتفع فيه بجهود من سبقه ووضع للأجيال منهجاً واضحاً يلتقون عليه ويحفظ مسيرة العربية في فهمها وبيانها من الانحراف، وفتح لعلماء التفسير باباً واسعاً يلجون منه لتجلية إعجاز القرآن الكريم وآيات بيانه[٧].

وكان من خير المنتفعين بعلم عبدالقاهر وكتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) الإمام جارالله الزمخشري، الذي كان تفسيره (الكشاف)، تطبيقاً عملياً لكتابي عبدالقاهر رحمه الله تعالى.

وموضع الشاهد في محاضرتي هذه أن كتاب (الكشاف) بمزاياه البيانية والبلاغية أرسى وحدة بيانية بلاغية لفهم كتاب الله تعالى بلاغة وإعجازاً تعاقبت عليه أقلام أئمة البلاغة والبيان من كبار المفسرين في المشرق والمغرب وأرسى أساساً للوحدة بين العلماء

وطلاب العلم وأساتذة العربية. ولا يزال كتاب (الكشاف) وشروحه وهذه المدرسة البيانية البلاغية التي بين أصولها شاملة لتفاسير البيضاوي، وأبي السعود، والنسفي، والألوسي، ممتدة إلى المدرسة البيانية في العصر الحديث ممثلة في تفسير (المنار)، للسيد محمد رشيد رضا (أستاذ الإمام محمد عبده)، وتفسير سيد قطب (في ظلال القرآن)، والتفسير البياني (لبنت الشاطئ)، وتفسير بعض سور القرآن الكريم لمحمد المبارك. اقول: لا تزال مدرسة عبد القاهر والزمخشري في (الكشاف)، هي القاعدة الأساس في الدراسات البيانية والبلاغية لكتاب الله تعالى في جميع كليات الشريعة واللغة العربية في البلاد العربية والإسلامية.

وموضع الشاهد من ناحية أخرى أن كبار أئمة البلاغة والبيان والعربية والتفسير كانوا في مواجهة العجمة والشعوبية باللغة والفكر، وعاشوا في مواطن المواجهة واصطلوا بنارها وكانت مؤلفاتهم في العربية والتفسير والبلاغة والبيان من أسلحة المقاومة للشعوبية في العقيدة والفكر، وللعجمة في الكلمة والتعبير وللتغريب في الثقافة والمنهج، إذ كانت المعركتان متصلتين مقترنتين.

وهذا ما يظهر جلياً من خلال تقديمي صورة موجزة عن سيرة هؤلاء الأئمة والأعلام: الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبي السعود، فالإمام جارالله أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري فخر خوارزم نشأ في بيئة علمية أدبية إسلامية، وعرف خطر الشعوبية على الإسلام والعربية فتمكن من علوم العربية وانقطع لروايتها وتحقيقها، وخدمة علومها، مفضلاً لها مناصراً لخصائصها، ومحارباً للمنتقصين قدرها من الشعوبيين معتزاً بما نال من علومها والانتساب لها.

"وقد افتنّ في تآليفه العجيبة بالتنويه بالعربية وفضلها، وهاجم في كتابه (المفصل) الصادفين عن العربية، المتطلعين إلى تفضيل غيرها عليها والزهد في علومها، المحاولين اتخاذ لغةٍ غيرها أداة لآدابهم ومعارفهم وأفكارهم، ولقد أبدع الزمخشري في العربية: علماً وذوقاً، وروايةً، وإنشاءً، فخلَّف ثروة عظيمة في الأوضاع اللغوية مثل (أساس البلاغة) الذي وضعه معجماً على قاعدة التفريق في كل مادة بين استعمالاتها في المعاني الحقيقية الأصلية استعمالاتها في المعاني المجازية، هي غية لم تصعد إليها همةُ غيره مِنْ قبله ولا مِنْ بعده.

وكتابُ (الفائق) في تفسير غريب الحديث، وهو معجم للاستعمالات اللفظية العربية الواردة في الأحاديث النبوية، فتح له باباً واسعاً في لغة الحديث ليكون مرجعاً للعلماء من بعده يساعد في تكوين وحدتهم الثقافية والعلمية في دراسة الحديث النبوي الشريف وفهمه وكذلك كتابه (المستقصى)، في الأمثال.

وكتابه (المفصل)، الشهير الذكر الطائر الصيت، الذي عكف الناس على شرحه ودراسته أكثر من ثمانية قرون"[٨].

الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الخطيب الرازي، المولود سنة 543هـ والمتوفى سنة 606هـ، وهو عربي قرشي من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق– رضي الله عنه– نشأ في البلاد الأعجمية وعاش فيها، واستقرت أسرته أولاً بطبرستان، وكان مولده في مدينة الري، وهي العاصمة الكبرى يومئذٍ لبلاد العراق العجمي، شرقي سلسلة الجبال الإيرانية الكبرى وقد بادت الآن وتوجد خرائبها على مقربة من مدينة طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وينسب إلى مدينة الري كثير من مشاهير العلماء، في فنون الثقافة الإسلامية، وصيغة النسب إليها (الرازي)، على خلاف القياس، منهم أبو بكر الرازي: الفقيه الحنفي المعروف بالجصاص، وأبو بكر بن زكريا الرازي عالم الطب والكيمياء، والإمام فخر الرازي، المفسر المعروف، وكثيراً ما يخطئ بعض الكاتبين فيحسبون كلمة الرازي لقباً لشخص واحد. وكان هذا الإمام المفسر بتفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، قد تميز بخصائص الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة، والانتصار لمبادئه، ورد شبهات أعدائه مع إلمامه بثقافة عصره، فكان مثلاً لمقاومة العجمة والشعوبية على السواء.

الإمام البيضاوي: أصله من شيراز، في جنوبي إيران، بها كانت نشأته العلمية الأولى، وبها تخرج في الفقه والأصول والأدب والمنطق والحكمة مقتفياً آثار الإمام الغزالي والرازي، وكانت دراسته ومؤلفاته في الفقه، ككتاب (الغاية القصوى في دراسة الفتوى)، وهو مختصر معتمد في فروع الفقه الشافعي، اعتنى به فقهاء الشافعية وكثرت شروحهم عليه، وكتاب (المنهاج)، في أصول الفقه، واسمه (منهاج الوصول إلى علم الأصول)، وهو عظيم الشهرة واسع الرواج، لا يزال موضع دراسة العلماء في الجامعات الإسلامية ومدارس العلم الشرعي من عصر تأليفه إلى القرن الحاضر، ولم يزل عمدة الدراسة في أصول الفقه منذ القرن الثامن إلى اليوم.وكان تفسيرُ البيضاوي الذي أكمل

تأليفه في تبريز التي استقر فيها إلى حين وفاته سنة 685هـ قد اعتمد في دراسته لتحرير تفسيره هذا على التفسيرين العظيمين: (الكشاف) للزمخشري، و (التفسير الكبير) للفخر الرازي، فجعل اعتماده في بيان الألفاظ والتراكيب وتحليل المباني لاستخراج نكت المعاني على تفسير الكشاف، واعتمد في إبراز روح الحكمة القرآنية وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة وأصول الدين وأصول الفقه على المرجع في ذلك وهو تفسير الإمام الرازي، فأحله الناس منذ ظهوره وانتشاره في النصف الثاني من القرن السابع محل الاعتماد والإقبال وعكفوا عليه عكوفهم على المرجع الأصيل للتفسير، إذ استأثر بالجمع بين التفسيرين المتكاملين: (الكشاف) في تحليله البياني، ورده للشعوبية التي حاولت إبعاد العربية عن الحياة، وحجب القرآن عن الناس، والرازي الذي بَيَّن أصول الدين ودافع عنها ودحض شبه أعداء الإسلام وتوسع بالاستشهاد بالآيات غير خارج عن العربية وأصولها.

أبو السعود: العلامة شيخ الإسلام أبو السعود العمادي المتوفى في أواخر القرن العاشر/ 982 وكان أبو السعود كاتباً أديباً فائق العبقرية في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والتركية وقد اضطلع عهداً طويلاً بالتدريس في قبرص، والقسطنطينية وعواصم أخرى في البلاد التركية وكان يشارك في جيوش الجهاد مع السلطان سليمان القانوني، وأثناء حصار قلعة بلغراد كان يدرس الطلبة الملازمين له سورة الفتح بتفسير (الكشاف) ويملي عليهم حاشيته، وقد وضع تفسيره المعروف بتفسير أبي السعود وسماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العظيم) معتمداً على (الكشاف) و (البيضاوي) مضيفاً إليهما ما اقتضته طبيعة العصر وطبيعةُ المواجهة للمدرسة الباطنية في التفسير التي واجهتها الدولة العثمانية بأسلحة المجاهدين وأقلام العلماء المتمسكين بأصول العربية وأصول الدين، وكان لهذا التفسير مكانته في معاهد البلاد الإسلامية قاطبة ولا يزال مرجعاً عظيماً من مراجع التفسير في كليات الشريعة، والمعاهد العلمية الإسلامية إلى يومنا هذا.

تفسير الشهاب الألوسي:كان ظهور الإمام الشهاب الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي الذي ولد سنة 1217هـ/ القرن الثالث عشر الهجري)، في أرض العراق في ظل الخلافة الإسلامية العثمانية، وكان العراق بعد انتقاله من سلطنة إيران وشواهين إيران الصفويين ميداناً لمواجهة أصحاب العقائد التي تحاول أن تفسر آيات

القرآن تفسيراً خارجاً عن أصول العربية خدمة لعقائدهم الخاصة، وكان لتفسير الإمام الألولسي أثره العظيم في مواجهة الانحراف والعجمة وإرساء الأصول العربية في فهم الآيات معتمداً على مدرسة البيان القرآني وأئمته وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني وأبو السعود والبيضاوي وغيرهم وامتد أثر هذا التفسير في البيئات السنية في البلاد الأعجمية بإيران وأفغانستان والهند، واحتلت بغداد بلد الألوسي مكانتها الثقافية لتكون مركز إشعاع عربي إسلامي للعلوم الشرعية والعربية المقاومة للنزعات الرافضية والباطنية. وكان ظهور الإمام الألوسي في عهد السلطان محمود الثاني، المعروف عهدُه بعهد الإصلاحات والتنظيمات، والخروج عن سلطان التقاليد والعوائد، وقد أولى السلطان محمود ابنه عبد الحميد رعايته لتحقيق أهدافه في الإصلاح (لأصحاب القيم السامية في العلوم الإسلامية من أبناء الأقاليم العثمانية العربية وأبناء البلاد الأناضولية والرومية الراسخي القدم حقاً في العلوم المتمكنين من اللغة العربية) [٩] وكان من أعظم هؤلاء العلماء الذين اعتبروا سند الحركة الإصلاحية المحمودية التي قاومت الأعجمية لغة وقيماً ومنهجاً متمثلاً بالباطنية وبعض تفاسير الصوفية الخارجة عن أصول التفسير شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت في تركيا، وهو قطب الدائرة ومكتبته التي تزخر بروائع المخطوطات والذخائر والمؤلفات الإسلامية موجودة، يؤمها العلماء وطلاب العلم في المدينة المنورة، وشيخ الإسلام إبراهيم الرياحي في تونس، والشيخ خالد النقشبندي الكردي والشيخ محمد أمين بن عابدين في الشام، والشيخ الألوسي في العراق[١٠].

وكانت التفاسير التي تروج في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: التفاسير العلمية السُنِّية (مثل تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود) وهي مصوغة في قالب من التحرير المدقق المحتاج إلى شرح وهوامش وبيان فلا ينتفع بها إلا صفوة العلماء وطلابُ العلم في المجالس العلمية.

الصنف الثاني: التفاسير العلمية الشيعية، وقد اشتملت على تفسيرات باطنية أعجمية تأباها اللغة وتنكرها أصول الشريعة وأصول التفسير.

الصنف الثالث: صنف التفاسير الصوفية التي تعتمد على أذواق غير متقيدة بالطرائق العلمية، ولا محكمة الاستخراج على قواعد اللغة وعلومها. فكانت الثغرة كبيرة

في احتياج العالم الإسلامي إلى تفسير يواجه التفاسير الأعجمية الباطنية والذوقية عند الصوفية غير المقيدة بقواعد اللغة، نظراً لأن التفاسير المعتمدة لغة وأصولاً من التفاسير العلمية السنية لم تكن مراجع قائمة بنفسها ببسط البحوث والأنظار، وإبراز المعاني، وتحليل مآخذها، إلا بالجمع بين الأصول وحواشيها نظراً لاختصارها وإيجازها. فنهض الإمام الألوسي يسد هذه الثغرة وألف تفسيره العظيم الذي لا يزال من أعظم مراجع التفسير البياني لدى علماء الشريعة وعلماء اللغة إلى يومنا هذا. ولكن الألوسي، على الرغم من ذلك حاول أن يقيم حداً فاصلاً بين التفسير المعتمد على أصول العربية وبين ما يسمى التفسير الإشاري المعتمد على الذوق ليقول للدارسين إن هذا غير ذاك، فأعقب التفسير البياني بلفتات إشارية ذكر فيها أقوال الصوفية في الآيات بالمعاني الذوقية ليتحاشى الادعاء بأن المعاني الصوفية هي المقصود في الأصل وحكم على ذلك بأنه اعتقاد الباطنية والملاحدة، وتجنب أن يجعل تلك المعاني الصوفية تفسيراً، كما فعل الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره المسمى بـ (البيان).

وفي مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري كانت العجمة، أو الضعف سمة البلاد العربية والإسلامية: الضعفُ السياسي، والضعف العلمي والاجتماعي، والضعف العسكري والعجمة أو الضعف في اللغة وآدابها، وقد أحسن الإمام السيد، رشيد رضا – رحمه الله– في تتبع تاريخ هذا الضعف بقوله: "ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس الهجري، وكانت في ريعان شبابها، وأوج عزها وشرفها، وكان أول من ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلولِ الألفاظ المفردة، والجمل المركبة والانصرافُ عن معاني الأساليب ومغازي التركيب وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه، وضروب التجوز والكناية فيه".

أقول وكان هذا أثراً للعجمة التي غلبت في بلاد المسلمين، وباتت تهدد وحدة الأمة لغة ثقافية وفهماً مشتركاً على منهج عربي مبين للكتاب والسنة مصدري اللغة والتشريع، مصدري العقيدة والدين، وتسلحت بهذه العجمة ومنهجها المنحرف في فهم لغة الكتاب الكريم والسنة المطهرة الطوائفُ الباطنية التي اتخذت من هذه التفسيرات المنحرفة في القديم والحديث سنداً لعقائدها الفاسدة التي مزقت وحدة الأمة ومقاومتها، وجعلتها شيعاً متنافرة يضرب بعضها رقاب بعض. وهذا ما بعث عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني،

إمام علوم اللغة في عصره إلى تدوين علم البلاغة، ووضع قوانينَ للمعاني والبيان – كما وُضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الإعراب – فوضَع كتابه (أسرار البلاغة) ليواجه بداية العجمة التي أخذت تظهر باستبداد اللفظ والعناية به على جمال المعاني، وحاول بكتابة تأييد المعاني، ونصرها، وتعزيز جانبها وشدَّ أزرها.

وقد كشف عن هذه العجمة في عصره بأسلوب لطيف العلامة الشيخ محمد رشيد رضا، من خلال التعريف بكتاب (دلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمهما الله تعالى– بقوله: "أما الكتاب فيعرِف مكانته من يعرف معنى البلاغة وسر قوامها انتقاء الألفاظ الرقيقة أو الكلماتِ الضخمة الغريبة.. وقد خلف من بعد – عبد القاهر– خَلْف جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة، فقالوا المسند يعرّف لكذا وكذا، وينكّر لكذا وكذا.. إلخ ولم يبينوا السر في ذلك، ولو يوازنوا بين مسند منكّر عرفته البلاغة وآخر نكّرته، وهو مثله، ولم يبينوا السبب في ذلك، ولم يُعنَوا بإيراد الشواهد والأمثلة والبحث في الفروق.

وقد اختار أهل هذه الأزمنة المجدبة القاحلة على مثل كتب عبد القاهر الخصبة الحافلة غيرها من الكتب لكثرة الحدود والرسوم، والقواعد والمشافيات في كتب المتأخرين، فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والفصاحة، حتى إن أعلمهم بهذه الكتب وأكثرهم اجتهاداً بها هم أعجزهم عن الإتيان بالكلام البليغ والصحيح قولاً وكتابة، ولا غرو فقد قال أحد كبار مؤلفي هذه الكتب المشهورة: إن بعض فحول هذا الفن (البلاغة) ليسوا بلغاء!! ففصل بين البلاغة وعلمها، وجعله غير مؤد إليها فلم يبق إلا أنه ابتدع ليتعبد به.." ثم يتابع السيد رشيد قوله: "ولولا أن فيض الله للعربية في هذا العصر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فطفق يحيى كتب السلف النافعة وعلومهم لكنا في يأس من حياة هذه اللغة الشريفة بعدما قضى عليها وأساتها".

وكان الأستاذ محمد عبده أول من قام بتصحيح كتابي عبد القاهر: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، وإحضار نسخ منهما والعناية بتصحيحهما ونشرهما وتدريسهما. وبيَّن السيد رشيد رضا حالة الضعف اللغوي والأدبي التي واجهها الإمام محمد عبده، بإحياء كتب عبد القاهر وإخوانه بقوله: (وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك إلى العلم

الصحيح بمعانيها، وتهدي إليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها، فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ"[١١].

ويقول السيد رشيد رضا في موضع آخر: "لهذا بادر الإمام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشريف عقب شروعنا في طبعه، فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة المدارس الأميرية، وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الأساتذة بعد حضور الدرس الأول: إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان"[١٢].

هذا ما حرصت على بيانه من أثر الدراسات القرآنية تفسيراً وبلاغة وبياناً عبر العصور في مقاومة العجمة والتغريب، وخدمة العربية وحفظها كلمات مفردة وجملاً وجمالاً وأسلوباً في معرض حديثنا عن دور العربية والتعريب في وحدة الأمة، عقيدة وحضارة وثقافة، ولغة وهوية وانتماءً. وما العربية إلا لسانُها الناطق وكتابها المعجز الصادق وقلبها الخافق بكنوز قيمه وحضارته وتراثه لتكون أقوى من أسباب الفرقة والانقسام، وروحاً تسري في قلب هذه الأمة للوحدة والوئام.

(١) اللغة العربية في التعليم والبحث العلمي / للدكتور مازن المبارك ص 8-11.
(٢) المصدر السابق.
(٣) نقلاً عن كتاب في فقه اللغة/ د. صبحي الصالح – دار القلم الطبعة الحادية عشرة 1986/ ص360.
(٤) اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي للأستاذ مازن المبارك ص9 – مؤسسة الرسالة.
(٥) فقه اللغة/ د. صبحي الصالح ص211.
(٦) المرجع السابق ص 360-361.
(٧) التفسير ورجاله للشيخ محمد الفاضل بن عاشور – طبعة الدار التونسية.
(٨) التفسير ورجاله /محمد الفاضل بن عاشور/ طبعة مجمع البحوث الإسلامية/ القاهرة 1907/ ص53-54.
(٩) التفسير ورجاله/ ابن عاشور/ 126 و 127.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) أسرار البلاغة/ للإمام عبد القاهر الجرجاني- مقدمة السيد محمد رشيد رضا.
(١٢) المرجع السابق، وانظر كتاب (البلاغة تطور وتاريخ) للأستاذ الدكتور: شوقي ضيف.